7



الجَدْىُ المُشاغِبُ

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : ا. إسماعيل دياب
إشراف : ا. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الْجَدْىُ الْمُشَاغِبُ

يُحكَى أنَّ راعيًا شابًا كانتْ له غَنَمُ وماشيةُ كَثيرةٌ ..

وكانَ من بينِ الْغَنَمِ جَدْىٌ قوىٌّ شَرِسٌ مُشاغِبٌ ، له قَرْنان قويّان معْقوفان ..

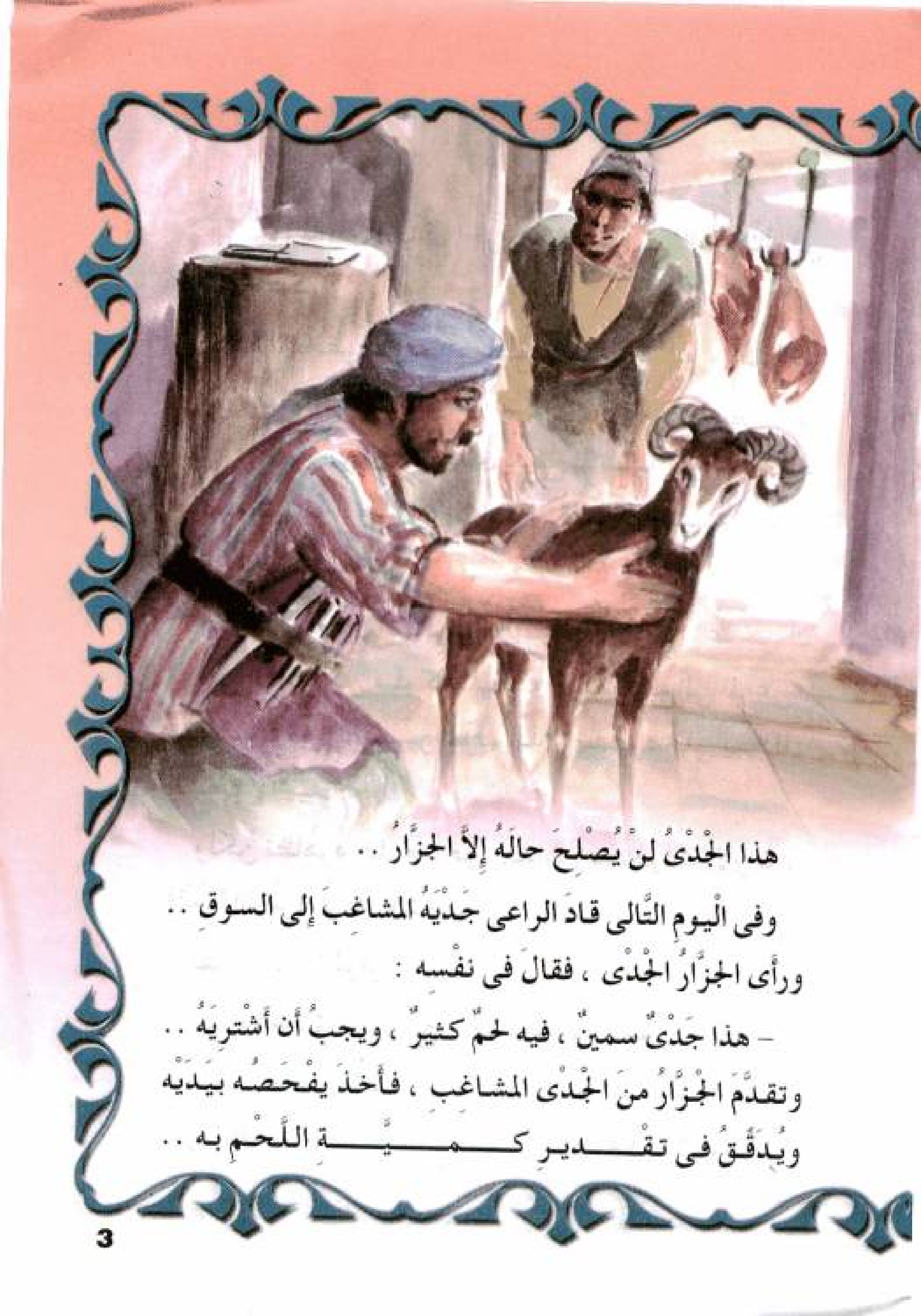
وكانَ الجَدْىُ المشاغِبُ يتطاوَلُ على الْغَنَمِ والْمَاشيَةَ ، فيضْربُها ضَرْبًا مُبرِّحًا ، وينْطَحُها بقرْنيْه نطْحًا مُؤْلمًا ، حتى يُدْميها ، ويُحْدِثَ بها الْكثيرَ من الإصاباتِ ..

وضجَّتِ الْغنمُ والْماشيةُ إلى الرَّاعى بالشَّكْوَى من كَثْرةِ ما أصابها من الجَدْى الْمُشاكسِ ..

وحاولَ الرَّاعى أكْثرَ من مرّةٍ تأْديبَ الجَدْى المشاغب ، ومنْعَهُ من إيذاءِ الْغنمِ والْماشيَةَ ، ولكنَّهُ عجزَ عنْ تأْديبه ، ولم يُفْلِحْ فى إصْلاحِ حالِه ، أوْ تغْييرِ سُلوكِه ..

فقالَ الراعى فى نفْسِه :

– لقدْ فشَلْتُ فى تأْديبِ ذلكَ الجَدْى الْمُشاغِب .. واللّه لأذْهبَنَّ به غداً إلى السُّوقِ وأَبيعَهُ ..



هذا الجَدْىُ لنْ يُصْلِحَ حالَهُ إلاَّ الجزَّارُ ..

وفى الْيومِ التَّالى قادَ الراعى جَدْيَهُ المشاغبَ إلى السوقِ ..

ورأى الجزَّارُ الجَدْىَ ، فقالَ فى نفْسه :

- هذا جَدْىٌ سمينٌ ، فيه لحمٌ كثيرٌ ، ويجبُ أن أشْترِيَهُ ..

وتقدَّمَ الجزَّارُ من الجَدْى المشاغِبِ ، فأخذَ يفْحَصُه بيديه

ويُدَقِّقُ فى تقْديرِ كمِّيَّة اللَّحْمِ به ..

ولمّا رأى الجَدْىُ الجزّارَ يفْحَصُه ، خافَ وقالَ فى نفْسه :

- هذا شخْصٌ غريبٌ ، مُلطّخُ الثّيابِ بالدّمِ ، وقدْ شدّ حوْلَ وسَطه حزامًا علّقَ فيه سكاكينَ .. لابُدّ أنه يُريدُ بى شرًّا .. لابُدّ أنهُ الجزّارُ الذى يذْبحُ الماشيةَ ، والذى طالمَا سمعْتُ عنْهُ ، ولمْ أرهُ إلاّ الآنَ .. لابُدّ أنْ أحْترسَ منْه ، حتى أنْجُوَ منَ الموْتِ ..

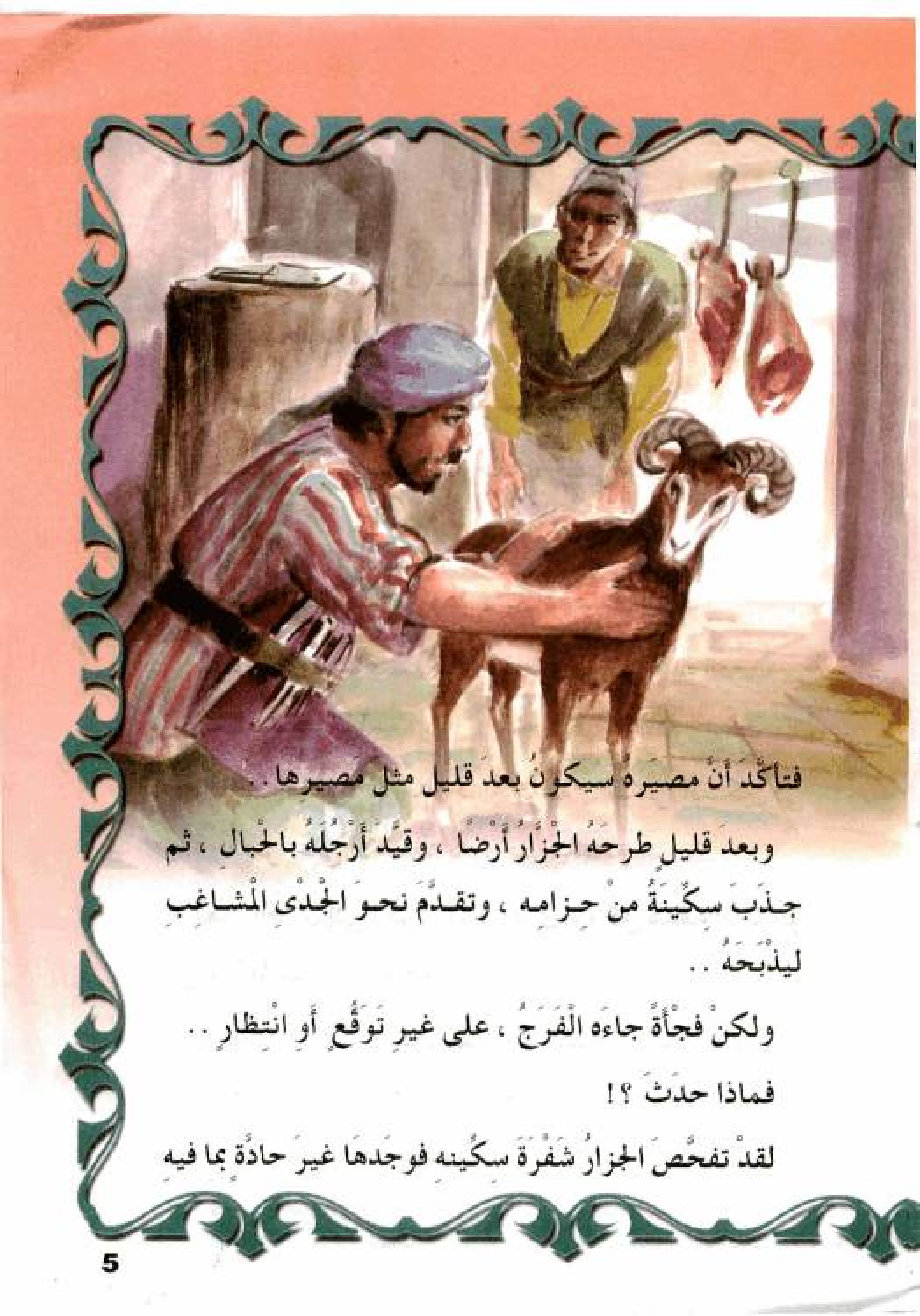
وتظاهرَ الجَدْىُ الشّرسُ بالْبراءَةِ والأدبِ ، عسى أنْ يرْضَى الراعى عنْ سُلوكهِ المُهذّبِ ، ويعودَ به إلى المرْعى ، فينقذَهُ منَ المصيرِ المؤْلمِ الذى ينتظرُه على يدِ ذلك الشّخْصِ المُخيفِ ..

ولكنّ تظاهُرَهُ جاءَ متأخرًا جدًّا ، وبعْدَ فواتِ الأوانِ .. فقدْ كانَ الوقْتُ قدْ فاتَ ..

لقدِ اشْتراهُ الجزّارُ ..

وجرّهُ بعنْفٍ إلى المذْبحِ ، حيثُ تُذْبحُ الذّبائحُ ..

ورأى الجَدْىُ المشاغبُ الذّبائحَ معلّقَةً هناكَ ، ورأى رُءوسَ الغنمِ والماشيةِ وجُلودَها تملأُ المكانَ ،



فتأكد أنَّ مصيره سيكونُ بعدَ قليل مثل مصيرها ..

وبعدَ قليلٍ طرحهُ الجزَّارُ أرضًا ، وقيَّدَ أرجلَهُ بالحبالِ ، ثم جذَبَ سكّينَةً من حزامِه ، وتقدَّمَ نحو الجدْيِ المْشاغبِ ليذْبحَهُ ..

ولكنْ فجْأةً جاءهُ الفَرجُ ، على غيرِ توقُّعٍ أوِ انْتِظارٍ ..

فماذا حدَثَ ؟!

لقدْ تفحَّصَ الجزارُ شفْرةَ سكّينِه فوجدَها غير حادَّةٍ بما فيهِ

الكِفَايَةُ ، ولا تَصْلُحُ للذَّبحْ .. فتوجَّهَ إلى المِسَنّ لشَحْذِها ..

ووجَدَ الجدىُ المْشاغبُ الْفُرْصَةَ سانحةً للنَّجاة ..

أَخَذَ يعافِرُ ويرفُسُ بأَرْجُلِه ، حتى مزَّقَ الحْبلَ ..

و .. هَرَب ..

فرَّ منَ المْذْبحِ مُسْرِعًا ، وهو لا يكادُ يصدِّقُ أنهُ نجا ..

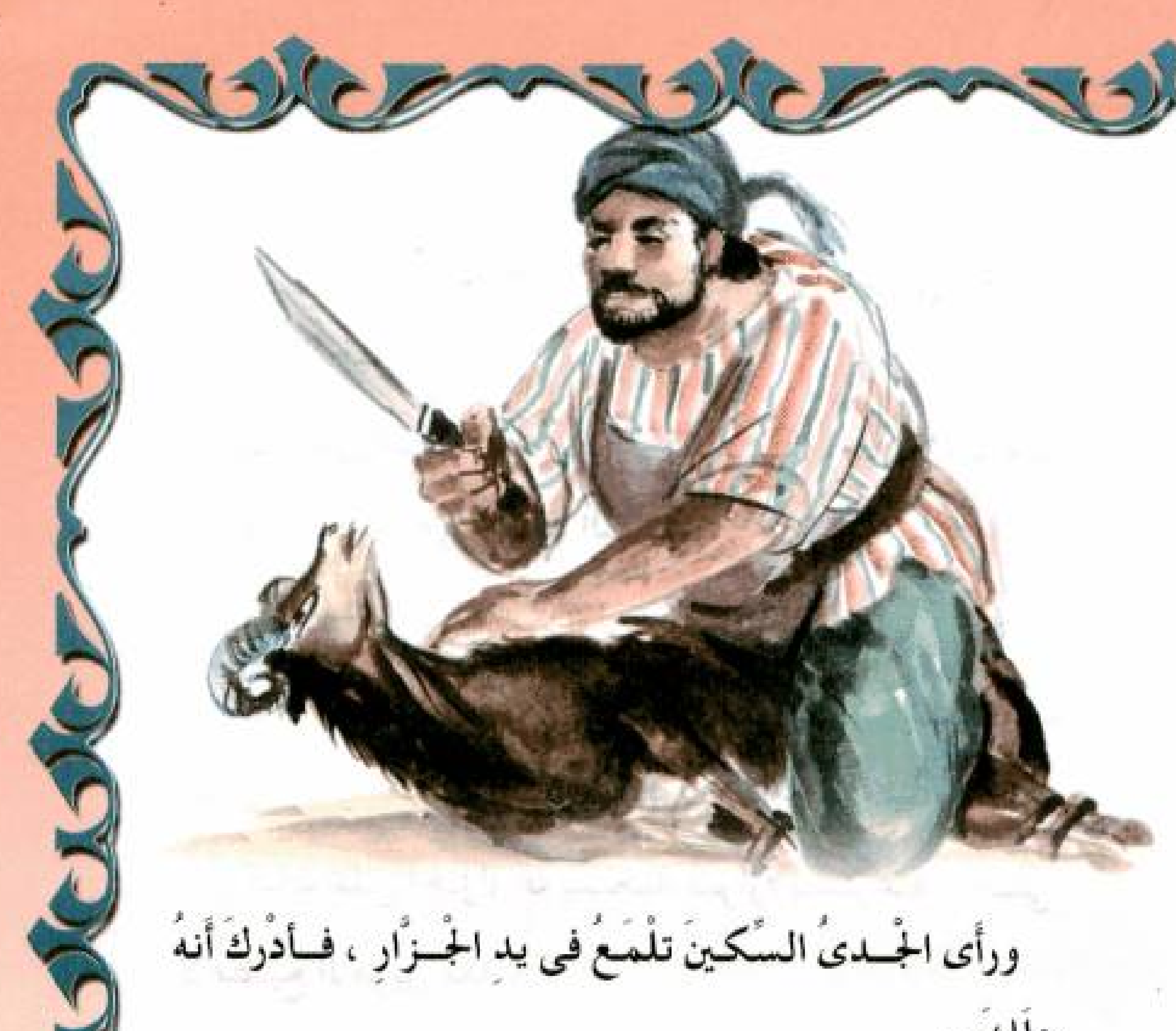
ظلَّ الجْدىُ المشاغِبُ يجْرِى ويجْرِى ، حتى هدَّهُ التَّعبُ ..

وتوقَّفَ ليلْتَقطَ أنْفاسَه ..

وتلفَّتَ خلْفَه ، فوجدَ الجْزَّارَ خلْفَهُ ، شاهِرًا السكِّينَ فى يَدِه ومُصِرًا على الإمْساكِ بِه ، حتى يذْبَحَهُ ..

فعادَ الجْدىُ إلى الجْرْىِ مرَّةً أُخْرى ، وكلُّ هدفِه أنْ ينجُوَ منْ هذَا المُصِرِّ على ذَبْحِه ..

وفجْأَةً رأى بابَ بُسْتانٍ مفتُوحًا ، فدخَلَهُ ليخْتبِئَ فيه من مُطارِدِه ، وهو لا يدْرِى أنهُ فى الْفخِّ .. لقدْ دخل بسْتانَ الجْزَّارِ .. ودخل الجزَّارُ خلْفَهُ ..



ورأى الجَـدىُ السّكينَ تلْمَعُ فى يدِ الجـزّارِ ، فـأدْركَ أنه هلَكَ . .

وراحَ الجَدْىُ يبحثُ عن مكانٍ يَخْتَبئُ فيه داخلَ البُسْتانِ فعاجَلَهُ الجزّارُ بضحكةٍ ساخِرةٍ ، وقالَ هازئًا :

- وقعْتَ فى الْفخِّ أيُّها الجَدْىُ المشاغبُ . .هذه المرّةَ لن تسْتطيعَ الْهَـرَبَ . . وتقـدَّمَ الجَزّارُ من الجَـدْى المسْكينِ مُلوّحًا بسكّينه . .

ولكن الفَرَجَ جاءَ للجدْيِ المشاغِبِ في اللَّحظةِ الأخيرةِ ..

فقدْ رأى الجزَّارُ لصًّا يخرُجُ من بيْتِه ، حاملاً ما خفَّ حملُه وغلا ثمنُهُ من أثاثِ البيْتِ ..

ووجدَ الجزارُ نفسَهُ بيْنَ واحدٍ من اختيارَيْن :

إمَّا أنْ يُمْسِكَ الجدْيَ ، ويترُكَ اللِّصَّ يهْرُبُ بمسْروقاته الثَّمينَةِ ، أو يُمْسِكَ اللِّصَّ ، ويترُكَ الجدْيَ يهْرُب ..

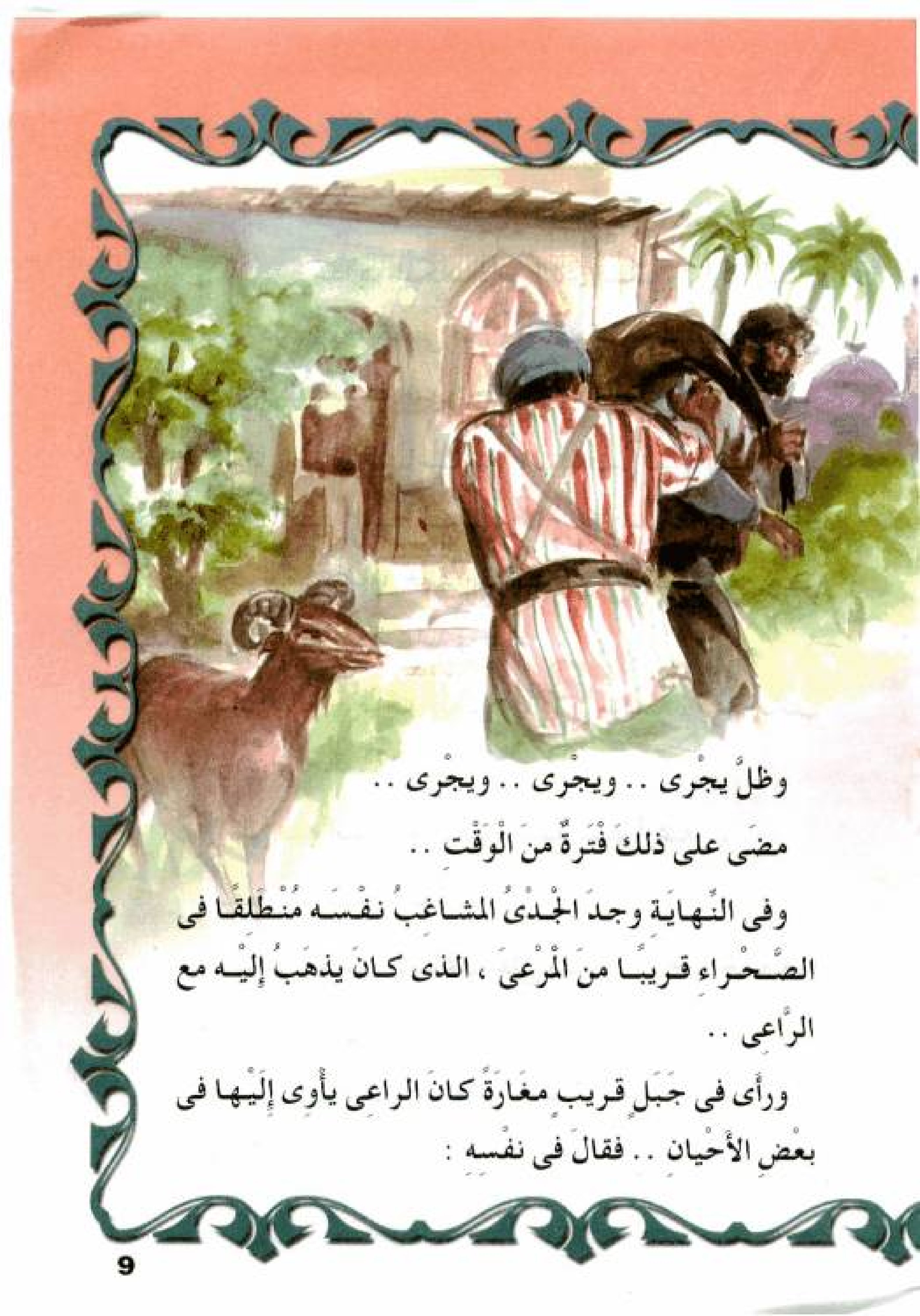
وكانَ على الجزارِ أنْ يتَّخذَ قرارَهُ بسُرْعةٍ ، حتى لا يضيعَ الأمرينِ معًا ..

واختارَ الجزَّارُ أنْ يُمْسِكَ باللِّصِّ ..

وفي اللَّحظَةِ التي أمْسكَ فيها الجزَّارُ باللِّصِّ فرَّ الجدْيُ خرجَ من البُسْتانِ مُسْرِعًا ، وراحَ يُسابقُ الرِّيحَ ، وهو لا يكادُ يصدِّقُ أنهُ نجا للمرَّةِ الثانيَةِ .. فقالَ في نفسِهِ فرِحًا :

– إنَّها أُعجوبةٌ .. معجزةٌ .. كيفَ نجوْتُ بهذه السُّهولةِ ؟!

أنا لا أُصدِّقُ ..



وظلَّ يجري .. ويجري .. ويجري ..

مضى على ذلك فترةٌ من الوقتِ ..

وفي النهايةِ وجد الجديُ المشاغبُ نفسَه مُنطلقًا في الصحراءِ قريبًا من المرعى، الذي كان يذهبُ إليه مع الراعي ..

ورأى في جبلٍ قريبٍ مغارةً كان الراعي يأوي إليها في بعضِ الأحيانِ .. فقال في نفسِه :

– هذَا هوَ المْكَانُ الآمنُ الذى يُمْكنُ أنْ آوى إلَيْه ، دونَ أنْ يلحقنى ضررٌ أوْ خوفٌ .. لنْ يخطُرَ على بالِ الشَّيْطانِ نفْسه أنَّنى داخلُ هذه المْغَارَة ..

ودخلَ الجْدْىُ المشاغبُ المْغارَةَ ، فقضى فيها بقيَّةَ نهارِه وليْلَته ، حتى أصْبحَ الصَّباحُ ولاحَ ، وأضاءَ بنوره الوضَّاحِ ، فخرجَ من المغَارَة خائفًا يترقَّبُ ، وراحَ يبْحثُ عنْ رفيقٍ يأْنسُ إليْه ، ويُهوِّنُ عليْه وحْدَتَه ..

كانَ جائعًا ، فأخذَ يرْعَى ويأْكُلُ العُشْبَ ، وهوَ خائفٌ حذرٌ .. وفجأَةً ..

وعلى غيْر انتْظارٍ أوْ توقُّعٍ ، سمعَ شيْئًا أرْعبَهُ ..

سمعَ كلْبًا ينْبَحُ بشدَّةٍ ..

انْكمَشَ الجْدْىُ المشَاغبُ على نفْسه ، وبعْدَ لحْظَةٍ هدأَ خوْفُهُ ، فقالَ فى نفْسه :

– ليْسَ أنَا الذى يَخافُ من كلْبٍ يعْوى .. لقَدْ أرْعَبْتُ الغَنَمَ والمْواشىَ من قَبْلُ ، ولمْ يسْتطِعِ الراعِى تأديبى ،



ولا الجَزَّارُ ذَبْحي .. ربما وجَدْتُ في ذلك الْكلبِ رفيقًا يؤْنِسُ وحدتي .

وبحثَ عنِ المْكانِ الذى سمعَ منهُ نُباحَ الْكلبِ ، حتى رأى الْكَلْبَ يقِفُ بَعيدًا .. فسارَ إِلَيْه ..

وصلَ الجَدْىُ المشاغِبُ إلى الْكَلْبِ ، فسلَّمَ عليهِ سلامَ مُشْتاقٍ ، وكأنَّهُ يعْرِفُهُ منذُ فترةٍ طويلَةٍ .. فردَّ عليهِ الكَلْبُ تحيّتَهُ بتحيّةٍ أجملَ منها ..

فقالَ الجَدْىُ المشاغِبُ :

- أَيُّها الرفيقُ الصَّالحُ ، والصَّديقُ الأمينُ ، الذى لا يَمَلُّ المْرْءُ من صُحْبَتِه .. لقدْ جَمَعَتْ بيْنَنَا المْقَادِيرُ على غيرِ موْعِدٍ .. وكلُّ غريبٍ إلى الْغَرِيبِ يأوى ..

فقالَ الكَلْبُ :

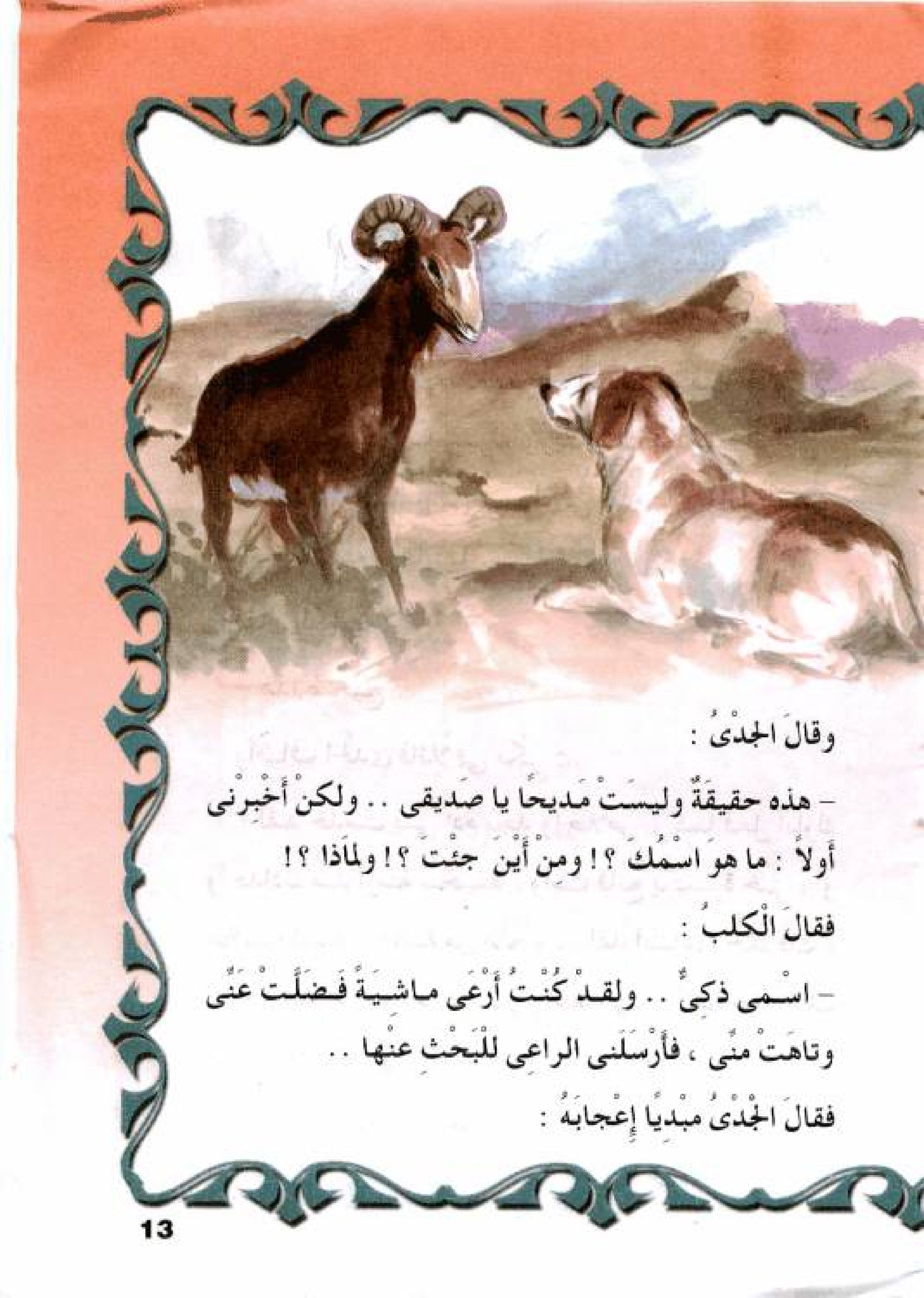
- هذا صحيحٌ ، فنحْنُ غريبانِ معًا فى هذا المكَانِ ..

وأضافَ الجْدْىُ المشاغبُ قائلاً :

- اعْلَمْ يا أخى أنَّكَ متَفَضِّلٌ على كَثيرٍ ممَّنْ لَبِسَ الثِّيابَ وركبَ الْفَرَسَ ، وقامَ وحَرَسَ ، وأنتَ صالحٌ للأُخُوَّةِ والصَّداقةِ ، وإنْ كانَتْ جنْسيَّتُنا مُخْتَلِفَةً ، فالْقُلُوبُ بحَمْدِ اللهِ مُؤْتَلِفَةٌ .. ليْسَ ذلكَ فقطْ ، ولكنْ بيْننا وبيْنكَ مواثيقُ وعُهودٌ مؤكَّدةٌ ، ولكَ علينا معروفٌ لا يُنْكَرُ ، وجهْدٌ يُشكَرُ ، فكمْ تسْهرُ على حراستِنا من اللَّيلِ إلى الصَّباحِ ، وأنا أعترِفُ لكَ بهذا الْفَضْلِ ولا أُنْكِرُهُ لأنَّ منْ ينكرُ فضْلَكَ جاحدٌ ..

فقالَ الكَلْبُ :

- أشْكُركَ على كلِّ هذا المْديحِ ، الذى كلْتَهُ لى يا صَديقى ..



وقالَ الجدْىُ :

- هذه حقيقةٌ وليستْ مَديحًا يا صَديقى .. ولكنْ أخْبِرْنى

أولاً : ما هوَ اسْمُكَ ؟! ومِنْ أيْنَ جئْتَ ؟! ولماذا ؟!

فقالَ الْكلبُ :

- اسْمى ذكِىٌّ .. ولقدْ كُنْتُ أرْعى ماشِيَةً فضَلَّتْ عَنّى

وتاهَتْ منّى ، فأرْسَلَنى الراعِى للْبَحْثِ عنْها ..

فقالَ الْجدْىُ مبْدِيًا إعْجابَهُ :

- إنَّ الذكاءَ يشعُّ منْ عينيكَ ، وذهابُكَ للْبحثِ عنِ الْماشيةِ التى شردتْ يدلُّ على وفائكَ لكَ ، فقدْ سُررْتُ بملاقاتكَ ، ويُسْعدُنى أن أكونَ رفيقكَ .. سوفَ تجدُ فى صُحْبتى ما يسرُّكَ ، ويُنْسيكَ صُحْبةَ الراعى ، الذى أضعْتَ الْكثيرَ منْ عُمركَ فى خدمته ، والْقيامِ على حراسةِ ماشيتهِ ورعايتها ..

فقالَ الْكلبُ :

- هذا صحيحٌ ..

وأضاف الجْدْى قائلاً فى مكرٍ :

- لقدْ خدمْتَ بنى آدم بجدٍّ وإخْلاصٍ ، كما فعلَ آباؤُكَ وأجْدادُكَ منْذُ أزْمنةٍ سحيقةٍ ، وأنتَ قانعٌ بكسْرةِ خبزٍ ، أوْ عظمةٍ يابسةٍ ، خاليةٍ من اللَّحْمِ .. لقدْ أضاعوا حقُوقَكَ ، لدرجةِ أنَّكَ لوْ مددْتَ فمكَ إلى طعامهمْ ، لانْهالُوا عليْكَ ضرْبًا بالعصا ، أوْ قذفوكَ بحجرٍ شجُّوا به رأْسكَ ..

ولوْ أنَّكَ وضعْتَ لسانَكَ فى وعاءٍ منْ أوْعيتهمْ اعْتبروهُ



نَجساً ، ولَمْ يَقْنَعوا في تطْهيره بغَسْله بالْماء مرَّةً واحدةً أَوْ مرَّتَيْنِ بل يغْسلونَهُ سبْعَ مرَّاتٍ ، وليتهمُ اكْتَفَوْا بذلكَ ، بلْ إِنهمْ يدْعكُونَه بالتُّرابِ ، حتى يزيلوُا أَثَر نَجاسَتِك منْهُ .. إِنهم يعَاملونَكَ باحْتقارٍ شديدٍ وقَسْوَةٍ ، ولا أعْتقدُ أنكَ قانعٌ بهذهِ الحَياة المؤْلِمَة ، وراضٍ عن هذه المُعاملَةِ المُحْتقرَةِ لك ، ولِبَني جنْسكَ من الْكلاب ..

فقالَ الْكلْبُ ، متأثِّرًا منْ كلامه :

- وماذا تريدُنى أنْ أفْعَلَ ؟!

فقالَ الجَدْىُ المشاغِبُ :

- إنَّنى أُريد منكَ أنْ تكونَ أميراً ، بل سُلْطاناً على كُلِّ وُحُوشِ هذه الأماكنِ وتلْكَ الْقِفارِ ، فَتَخْضَعُ جميعُ الْوحوشِ لحُكْمِكَ ، وتأْتَمرُ بأمْرِك ، فتكونُ سيِّداً مُطاعاً بيْنَ الجَميع ، فترْتَفِعُ مِنْ هوانِ الذلِّ والْعُبُوديَّةِ إلى عِزِّ المُلْكِ والحُرِيَّةِ . .ترْتَفِعُ من الحَضيضِ إلى الْقِمَّةِ . .

فقالَ الكلْبُ مُسْتَنْكِراً :

- ومَنْ أنا حتى أَصِلَ إلى هذا المرْكَزِ ، وأَعْلُوَ إلى هذه الدَّرجَة ؟!

فقالَ الجَدْىُ :

- أنا أُساعدُك ، وخذْ علىَّ عهْداً بذلك . .

فسكَتَ الكلْبُ ، وأَخذَ يفكِّرُ فى حيْرَةٍ ، فى هذا الأمْرِ الخَطيرِ ، الذى عَرضَهُ عليْهِ الجَدْىُ المشَاغِبُ . .

رقم الإيداع : ١٧٩٣٠ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : ١ - ٧٢٣ - ٢٦٦ - ٩٧٧

المطبعة العربية الحديثة

٨، ١٠ شارع ١٧ المنطقة الصناعية العباسية

القاهرة : ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤